# الأواصر المتينة

قصة بقلم فاضل السباعي

**[ مهداة .. الى « ابي خلدون » ، صاحب « آراء واحاديث في القومية العربية » في طبعته التي صدرت اخيراً . ]**

كان في الصغير المدلل خبث وملعنة وشقاء ، وكان لا تهدأ له حركة وقت الظهيرة اذ يخلو جداه الى مخدعها يطلبان بعض الراحة في شيخوختهما الطاعنة تلك .. فهو ابداً في صحن الدار او الليوان يلوب عن سلوى يقتل بها سويعات الظهيرة ريثما يتبين العصر فيسمح له بالخروج الى الزقاق حيث يلعب مع الصبيان ما تتفتق عنه اذهانهم من ضروب اللعب والتسلية .

وقد خرجت اليه الجدة غضبى ، في هذه الظهيرة القائظة ، حيث لم يتح لها ان تنعم بالرقاد كما تشتهي ، من فرط ما اصطنع الصغير لنفسه من العاب لا تخلو من ضجيج يبعث في ارجاء الدار جميعاً فيني النوم عن العيون .. وقالت تعزره :

– يا ملعون .. أحرام ان تخلينا نرقد بهناء ؟ ..

واستدارت الى خزانة في صدر الليوان لتحضر « عدة » التدخين . وقعدت تتفنن –على عادتها – في تعمير « النارجيلة » ما شاء لها التفنن . وان لها في كل يوم « نفساً » طيباً تنشقه وزوجها بعيد العصر في الليوان وامامها «النافورة» تفيض على البركة من مائها العذب القراح .

وسمع بعد قليل دبيب في الغرفة برز على اثره الجد في الليوان في جلبابه الابيض الحريري يشيع في عينيه شيء من الاحمرار ، وهو يتساءل عن الصغير ، هذا الذي لا يدع فرصة لكي ينام احد في الدار . ودفعت اليه الجدة بجبل النارجيلة ، فاختطفه منها ودس منتهاه بين شفتيه وسحب نفساً قرقرت له الماء طويلا .. في حين كانت الجدة تسحب انفاساً طيبة من حبلها الآخر ..

وأطل الصغير من غرفته في كتف الليوان يطلب السماح له بالخروج الى الزقاق ، فقد ولى قيظ الظهيرة وآن له ان يطلق سراحه .. فاذا الجدة ترفع عينيها الى جدار العلية تستطلع خبر الوقت ، فرأت اذيال الشمس الساطعة على الحائط ما بارحته كلياً . فهزت رأسها بالسلب ، وسحبت نفساً جديداً .

وبدا نفاد الصبر على محيا الصغير .. فقد اعتاد ان يترك الدار حين يخرج جداه الى الليوان يقرقران بالنارجيلة . وهم ان يصيح ضائقاً بعثت جدته .. لولا ان قال الجد بصوت فيه حنان وهو يوسع له مكاناً الى جواره على « الطراحة » :

– تعال ، ايها الصغير .. عندي لك حكاية اريد ان اقصها عليك ..

فارتسمت آيات الدهشة على وجه الصغير ، لأنه ما ألف في جده من قبل حكاء ، وانما هي جدته التي تحكي له في السهرات عن الانس والجن والعفاريت . وألهب فضوله ما اتخذ جده من سمت الجد والرصانة . فدنا اليه في سكون وفي نفسه شغف مشوق .

قال الجد ، بعد ان سحب من النارجيلة نفساً طويلا :

* * *

يحكى انه كان في القديم راع يعيش في الصحراء الى الجنوب . كان في مستهل الشيخوخة . ولم يكن له من شاغل سوى ان يجوب الآفاق يستاق امامه الأغنام باحثاً عن الماء والمرعى الخصيب .. فان هو صادف ذلك في مسيره ، ضرب خيمته واراح انعامه وارتبع في ذلك المكان لا يريم . حتى اذا اتت اغنامه على الكلأ والماء ، قوض الخيمة واستاق الأنعام ومضى يضرب في الصحراء باحثاً عن مرعى جديد ..

وكان للراعي – عدا زوجته العجوز – ولدان تسري في اوصالهما دماء الشباب حارة والطموح والرغبة في الانطلاق . لم تكن حياة الرعي هذه مما يطيب لها او يرضى مطامحها . انهما يريدان الى ان يريا الدنيا رأي العين ، كل ما يعرفانه عنها قد تناهى اليهما بالسماع .

قال الابن الاكبر ، في امسية ، والاسرة على شط غدير تستروح النسيم :

– ابت .. سأصارحك واخي .. لقد ضقنا ذرعاً بهذه الحياة .. ليس فيها من جديد .. تنقل في كل يوم وبحث عن كلأ وماء .. نريد ان ننطلق الى خارج حدود الصحراء .. اتجه الى غرب ويتجه اخي الى شمال .. ولعل الله ان يقيض لنا النصر والنجح المبين ...

وران صمت ، قطعه الابن الاصغر يقول :

– اجل ، يا ابت .. امضي الى الشمال ، وقد طالما سمعنا بجمال تلك الربوع وبالخير العميم يبسط عليها جناحين لا ينقبضان ، فحيثما توجه المرء فيها يجد الماء والكلأ الوفير .. وفي الغرب ، حيث يمضي اخي ، كذلك لا قحط ولا جفاف .. ما ارى الدنيا تجدب الا في ارضنا ! ...

فانقبضت اذ ذاك اسارير الراعي لهذا القول وزوى ما بين عينيه ، وقال بعد لحظة صمت :

– لا تجحد هذه الأرض فضلها ، يا بني .. انها التي تجود علينا بالخير ، والتي امدت الاجداد من قبلنا بالقوت والقوة .. أفنجحد فضلها آخر الأيام ؟.

فقال الأصغر مستدركاً :

– ما الى نكران الفضل قصدنا ، يا ابت .. وانما الى رغبتنا بالانطلاق الى غرب وشمال .. ان في الاغتراب نفعاً واي نفع ، فيما تعلمنا ، ليس اكبره ان نعود بالغنم والربح العظيم ...

فتفكر الراعي العجوز قليلا ، ثم قال :

– او تنويان العودة من بعد اغتراب ؟

فهتف الأخوان معاً :

– اجل ، يا ابت .. سنعود .. سنعود ..

فقال الأب :

– ولكن السابقين في الاغتراب ، يا ولدي ، ما آبوا .. وانهم ليضربون اليوم خيامهم على التخوم هناك حيث توطنوا لا يعودون .. وان بعضاً من اهليهم سعوا اليهم على المشقة في منازلهم يبغون وصلا من بعد فراق ، فأنكرهم الولد وما تعرفوا آصرة الدم ... واخشى ما اخشى ( ودمعت عين الراعي ) ان تصل بكما الحال ما وصلت بأولئك .. وتلك – لعمري – قاصمة الظهر وليس لوالديكما سواكما من بنين او بنات ...

وانكفأ الولدان والأم يذرفون ، على بكاء الأب العجوز ، من الدمع ما شاء لهم التذراف ... ثم كان بين الجميع حلس على الوفاء وعهد على الأوبة الى الغدير بعد سبع من السنين .

وارتحل الأخوان ...

اتجه الأكبر صوب الغرب ، الى بلاد « مامان » .. ومضى الأصغر نحو الشمال ، الى بلاد « ساسان » ، تصطخب في نفسيهما المطامع والآمال ولا يغيب عن ذهنيهما العهد بالتلاقي في الموعد المضروب .

وصادف الأكبر – في مامان – النجاح كل النجاح . واصاب الأصغر – في ساسان – التوفيق كل التوفيق .. فتاجر كل منهما وزارع وصانع ، واشترى وتملك واقتنى ، وتزوج وانجب الزغب الصغار .. حتى اذا قاربت السنون السبع الانقضاء ، شد كل منهما الرحال الى والديه في الصحراء ، يحدوه في ذلك الأمل في ان يراهما بالسلامة ويحظى دون اخيه باصطحابهما الى قطره السعيد .

على ان المنية كانت اسبق الى الوالدين . فما التقى الابناء على الغدير حتى عرفا موت العزيزين .. فبكيا عليهما مر البكاء، واقاما ثمة بعضاً من وقت ابرما خلاله عهداً جديداً على الا تنسى بينهما اواصر الأخوة ووشائج القربى ، وان تكون بينهما على الغدير – وبين الابناء من بعد – زيارة في كل حين واقامة طويلة المدى يستعاد فيها الماضي وتحيا الذكرى ويجمع الشمل الذي ينبغي الا يقطع له حبل ابد الدهر ...

وافترق الأخوان بعد عناق طويل ، ليعود كل الى حاضرته حيث المال والبنون .

وتقضت السنون ، وكل من الأخوين يرتقي من نجاح الى نجاح ، وقد ازدهرت به الحان الازدهار كله ، واصبح له عز وجاه وسلطان ، وأنسل من البنين ما شاء له الانسال .. وما انقطع حبل الود بين الأخوين وابنائهما ، وما نسيت الأواصر وما اغفل الماضي ذكر .. وقد كانوا في ذلك يحجون الى الغدير في العام بعد العام يصلون اهل العشيرة الاولين ويسترجعون الذكرى بقدسية وحنين .

ثم انه قد مات الأخوان بعد عمر حفل بالمفاخر والامجاد .. وقام موضع كل منهما ابناء اشداء اذكياء صانوا التراث الموروث وحفظوه من شر كل عدوان ، وسلكوا في سبيل انمائه واعلاء شأنه كل مسلك نبيل .. وما نسي ابناء العم – في غمرة ذلك – الأواصر التي تشد بعضهم الى بعض ، وانما ظلوا على الحب والود المكين .

على ان الدهر قلب لا يؤمن له جانب .

فقد انكمش ابناء الغرب في حاضرتهم مامان ، وحسبوا انهم باتوا في غنى


# الاغـــــــاني

لابي الفرج الاصبهاني

في متناول يدك

**سفر ثمين واثر خالد جامع من اهم ما انتجته العبقرية العربية الادبية**

- **كتاب لا بد منه لكل باحث ومطالع.**
- **كتاب لا بد منه في كل مكتبة.**

# لسان العرب

لابن منظور

كتاب اللغة الاول ومرجع الباحث والمطالع الوحيد

تصدرهما دار مكتبة الحياة باجزاء متتابعة وقد انجزت حتى الآن اخراج ١٥ مجلداً من اصل ٢١ مجلداً من كتاب الاغاني وستوالي اصدار الاقسام الباقية ، وهي تقوم بتجليدها تجليداً انيقاً .

**« دار مكتبة الحياة »**

بيروت – لبنان

ص . ب ١٣٩٠ تلفون ٣١٩٣٠

عن ابناء عمهم في الشمال البعيد .. بل انهم زعموا ان لا اصرة بينهم وبين اهل ساسان .. وقالوا ان قصة الغدير والراعي العجوز ان هي الا حديث خرافة لا نسب بينه وبين الحقيقة في شيء .. انهم ابناء برزة لمامان منذ قديم الزمان ! .. وأسقط في يد ابناء ساسان ؛ ذلك انهم كانوا قد توارثوا عن آبائهم حبهم لابناء مامان ، ولقنوا ان ثمة آصرة قربى فيما بينهم وآصرة اخرى بينهم وبين الأهل هناك على الغدير .. ولكن ابناء مامان عدوا هذه القالة حكاية أخلق بها ان تروى للصغار .

وكذلك فقد انقطعت الصلات ما بين اهل مامان وساسان ، فاذا الاضمحلال يتسرب اليهم يعمل فيهم جميعاً .. وقد حاول ابناء ساسان رد الاذى عن انفسهم ، فما صمدوا .. وكذلك حاول ابناء مامان ، فصاروا الى ذات المصير .

وظلوا في الذل الذليل امداً ، يجاهدون في مضمارهم فلا يصيبون من النصر الا قليلا . ولكن اهل ساسان ما قنطوا .. وانهم في جهادهم اوفدوا بليغهم الى مامان ليذكر اهليها بالاواصر المنسية ، فقد تنفع الذكرى .

ووصل الرسول بعد سفر شاق الى مامان .. فلقيه في ظاهر المدينة بعض الناس عرف فيهم بالحدس الرهيف ابناء عمومته الاماجد ، فسلم تسليم المحب الشغوف ، فما عرفوه ، وانما سألوه عن حاجته ومراده .. فقال انه ابن عم لهم جاء يزور ويذكر .. فعجبوا من ابن عم يقبل من بعيد لا يعرفونه ولا سمعوا من خبره شيئاً .. ودلوه على سيد مامان في ايوانه .

قال الرسول في لهجة الصدق والايمان :

– ايها السيد المطاع .. ان ابناء ساسان ليذكرونكم بالخير والحب كلما خطرتم في البال .. وانهم ليمدون ايديهم الى ابناء العمومة في مامان مصافحين وانهم ليرحبون بايديكم تمد اليهم دليل الحب والوفاق واذكاء للاواصر المنسية.

فقال السيد متسائلا :

– ولكن ، من اين العمومة بيننا ؟ ما صدرنا نحن عن ساسان ولا صدرتم عن مامان يوماً ، حتى تكون بيننا عصبة او رحم ! ...

قال الرسول :

– ولكننا صدرنا معاً عن بلاد الغدير ، ايها السيد الكريم .. فغربتم وشملنا.

فارتسمت على شفتي السيد بسمة هادئة ، وقد تذكر الحكاية تروى في بلده للصغار ، وقال :

– وما رسالتك ، ايها الرجل الطيب ؟ .

قال الرسول :

– ان تعود المياه بيننا الى روافدها .. ان نتحد في الاتحاد قوة .. لقد تفرقنا فذهبت ريحنا فغلبنا على امرنا ، وقد كنا من قبل – عهد الاجداد الميامين – ذوي بأس وأيد وسلطان .

وتنحنح السيد في موضعه :

– اسمع ، ايها الرسول .. لا يستدل الأعمى على الطريق بأعمى .. ولا يحمل الكسيح كسيحاً .. لتقم مامان على سواعد اهلها ، ولينهض بساسان بنوها .. وبعد ذلك نعيد المياه الى روافدها ..

فقال الرسول :

– ولكن ، كيف النهوض ونحن بهذه الفرقة المتخاذلة ؟ انما وطد الخذلان اركانه في بلدينا من يوم ان تفرقنا ، ولن يرتد عنا ما لم نتحد .. انني لأقول : الكف الواحدة لا تصفق ... ومبتور الساق يقفز مسير اقدام ليقعد مبهور الانفاس .. في حين يقطع المسافات الطويلة ذو الساقين .. وان الاعمى ليحمل الكسيح فيهديه هذا ببصره سواء السبيل .

ولكن فصاحة الرسول ما أجدت القومين نفعاً .. فقد ظلت مامان في عزلتها لا تكاد تصيب من الدعة في حياتها شيئاً .. وكذلك ساسان كانت تجاهد سعياً وراء الأمن فلا تحظى منه الا بالقدر الطفيف ، على ان اهلها كانوا يتشوفون الى اليوم الذي يقبل فيه اليهم رسول من مامان يبدي الفهم الحق ويعرض الود والاخاء

وتوالت – في ذلك – على البلدين المصائب والرزايا ينسجها الدهر ويكيلها العدو المترصد صفعات اليمة قاهرة .. فيدافعها اهل البلدين على انفراد ، يتغلبون عليها حيناً بالجهد الجهيد ، ويغلبون على امرهم في الحين الآخر للقلة والضعف والانخذال .

واهل ساسان يوماً في ديارهم .. يقبل عليهم وفد من مامان على رأسه رسول . وقال الرسول لسيد ساسان اذ اصبح في ايوانه :

– لقد جئناك ، ايها السيد العظيم ، نبلغك عزمنا على نفض الغبار عن الأواصر المنسية واعادة المياه الى روافدها الثرة .. لقد اسأنا التقدير فيما مضى من ايام ، ايها السيد .. ساقنا الظن الى اننا في غنى عنكم .. فاذا الايام تنبئي بان كياننا من غيركم وهم باطل وبنيان نموزه الدعائم الوطيدة .. وها نحن أولاء نقبل اليكم معتذرين عما مضى ، آملين ان نستعيد ماضي الجدود بالمحبة والتضامن فيما يقبل من ايام ..

وكذلك راحت الأيام تمضي ، يساند فيها اهل البلدين بعضهم بعضاً فكأنهم البنيان المرصوص .. فردوا الدهر عن غيه ، وسددوا الضربة الحازمة القادرة لكل طامع اثيم .. فأتيح لهم اذ ذاك ان ينعموا بالدعة والامن ، وان يشعروا بالروح الكريمة ترد الى الجسد الكريم ...

* * *

وسحب الجد ، اذ انهى حكايته ، نفساً جديداً من النارجيلة كأنه يستجم به من وعثاء سفر بعيد .. في حين قال الصغير المدلل على فجأة :

– حكايات جدتي احلى .. ففيها ما يشوق ويرهب ويقطع الانفاس ! .

قال الجد :

– أصبت ، يا صغيري .. حكايتي اكبر من ان تعيها .. انطلق الى الزقاق يا ولدي .. فقد آن لك ان تخرج الى الصبية اترابك .. حتى اذا واتاك فهمها وادراك مغزاها ، فجيء اني ، ولك على حذرك هدية تدخل الى نفسك السرور .

حلب

**فاضل السباعي**


# اشهر العشاق

**١ – ايلوئيز وابيلار ، ٢ – باغانيني ساحر النساء ، ٣ – بودلير في حياته الغرامية ، ٤ – ليدي هاملتن سفيرة الحب ، ٥ – ميسالين الامبراطورة الوثنية ، ٦ – ديك الجن الحب المفترس ، ٧ – كاترين الروسية في احضان الحب ، ٨ – نابليون وزوجته البولونية ٩ – اللورد بيرون عاشق نفسه ، ١٠ – المرأة في حياة ادغار بو ، ١١ – فاغنر والمرأة ، ١٢ – المركيزة بومبادور ، ١٣ – مضاجع نابليون الثالث.**

**دار المكشوف ، بيروت**